سورة الرحمن

obeikandl.com

﴿ سورة الرحمن ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢﴾

أى أنزله مخففاً لكى يتحمله الهيكل الآدمى من الصورة الأحدية إلى الصورة الواحدية فى مراتب الألوهية ثم فى مراتب الربوبية.

ولولا هذا التخفيف لتصدع الهيكل الآدمى، بل لذاب وانمحى من وجود التصورات، وإذا كان هذا فى حق الجبل فكيف بالآدمى والذى هو لحم ودم ؟

يقول تعالي:﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا ﴾

أى الكلام الصرف القديم الذى لم يتخفف بعد.

فلولا أن الحق تعالى نقله من الصورة القديمة الصرفة والتى تصدع الجبل بسببها إلى صورة تعليمه ـ أى القرآن ـ إلى الهيئة البشرية، كى يقدر على تحمله والنطق به، ولولا ذلك لما قدر هذا المخلوق على النطق بكلام الله القديم.

﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ ﴾

أى البوح عما بداخله من آلام وأحاسيس وأفراح وأتراح، هذا خلافاً للعجماوات من الحيوانات وغيرها، فإنها غير قادرة على البوح بما فى داخلها، ولهذا لما علم المشرع ﷺ هذا السر أمرنا برحمة العجماوات وقال: ((إن لكم فى كل ذات كبد رطبة

صدقة)) .

﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ ﴾

أدق من حساب الساعة، وأضبط من الكمبيوتر، كى تنفذ قدر الله وينتج عنها الليل والنهار، وكى لا تصطدم ببعضها، وكى تنتج الأنوار المرجوة منها.

﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ ﴾

سجودان:

(الأول) سجود تسبيح وهو المشار إليه فى القرآن بقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾

(الثاني) سجود خضوع وانقياد وقهر، وهو المعبر عنه عند السادة العارفين بقيام الكون بما فيه انقهاراً لله وخضوعاً له يقول جلَّ سبحانه: ﴿ وَهُمۡ دَاخِرُونَ ﴾ ويقول:﴿ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا ﴾، فلا تخرج ذرة فى الكون عن حكم الله تعالى وسطوته وقهره وسلطانه.

فالأعيان كلها مسلمة لله تعالى ومنقادة له طوعاً فى الباطن، وإن كان بعضها فى طور المعصية فى الظاهر.

﴿ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ ﴾

أى فى ميزان النسب الاقتضائية، المرادة من الأعيان حسب ما أراده منها فى علمه القديم، فأقام الحق تعالى برازخ منعتها من تعدى قدرها أو الهبوط منه إلى أقل .

ولذلك قال الحبيب المعصوم ﷺ لمسيلمة الكذاب لما رآه: ((**إنك لن تعدو قدرك**)) .

أى إنك ماكث فى قالب الطينة المذمومة، ولن تستطيع تعديها إلى ادعاء النبوة كما زعمت.

ويقول تعالى واصفاً هذا المقام: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾

فهذه البرازخ المانعة للأعيان من تعدى أقدارها هى التى تمنع الكافر من الإيمان، وهى التى تمنع النبى من المعصية.

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ ﴾

أى أن الأضداد تلتقى، ولا تختلط بفضل البرزخ المعنوى المانع من اختلاطها وطغيانها، والذى أقامه الحق تعالى للفصل بينها .

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ ﴾

أى كل ما سوى الله فانٍ .

ولهذا سارع السادة الأكابر بإفناء أنفسهم فى الدنيا وهو المعبر به عندنا بالفناء الأكبر، وهو إماتة النفس فى الدنيا قبل إفنائها من قبل الله ــ وهو الموت الأصغر ــ عند العارفين، وأما غير العارفين فلا يموتون إلا موتة واحدة لعدم سلوكهم طريق المجاهدة بإماتة النفس ــ الموت الأكبر ــ قبل ورود الموت الأصغر عليهم ، وعن هذا الذوق عبر أبو القاسم ﷺ بقوله: ((رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر))

فعد قتال العدو جهاداً أصغر لكونه يجلب الموت الأصغر ــ الحقيقى ــ وهو موت النفس فى الحرب، قبل موتها الموت الأكبر وهو المعبر عنه بالجهاد الأكبر .